

## تذكير بالمراحل الكبرى لاكتساب اللغة

### مقدمة :

لقد سبق و أن قلنا أن دراسة اضطراب اللغة، بالنسبة للأرطوفوني، لا تنفصل عن دراسة بنية اللغة و اشتغالها. ماذا لو كان طفل ما قبل المدرسة (0 - 6 سنوات) يكتسب لغة ليست من جنس ما تصفه كتب النحو العربي والفرنسي والانجليزي وغيرها ؟ ماذا لو كانت اللغة التي يكتسبها الطفل من ميلاده إلى حين دخوله المؤسسة التعليمية، لغة مزيج بين هذه و تلك من اللغات المكونة للسان محيطه الموسع ؟

كيف سيتصرف الأرطوفوني إزاء طفل في السادسة من عمره يقول : " المعلم دخل للقسم " ؟ هل يحكم بتفكك جُمل الطفل و يتبع نموذج اللغة العربية التي تشترط أسبقية الفعل على الفاعل في الجملة الفعلية و تحدّد وظيفة للأداة "إلى" : إلى القسم، مقابل الأداة "لـ" : للقسم، أو يقضي بموجب نفس النموذج بحذف الأداة (دخل المعلم القسم و ليس للقسم) ؟ هل يقبل بأسبقية الفاعل على الفعل لأن لغات تقبل بذلك ( *l'enseignant entre en classe*، عوض *entre l'enseignant en classe* ) ؟

كيف سيقوم الأرطوفوني معيار السواء من عدمه في سير/ اشتغال لغة الطفل الذي سيفحصه ؟ و بالإستناد إلى أي معيار ؟ هل سيقبل بغير الأطفال الذين يفهمون 30 كلمة في شهرهم العاشر و 200 كلمة في شهرهم السادس عشر ؟ هل سيقبل بغير الأطفال الذين ينتجون 110 كلمة في شهرهم الثامن عشر أم يحكم عليهم بتأخر لغتهم واضطراب اكتسابها ؟

الإجابة عن كل هذه الأسئلة، تكمن في كون اللسانيات التي يدرسها الأرطوفوني، لسانيات تستخرج مناحيها من نماذج حقيقية عدّة، لتكشف عن كيف يشغل اللسان البشري، و منه العقل البشري، في استغلال إمكانياته المعرفية. الأرطوفوني يتساءل عن النماذج الممكنة الاستعانة بها، وهل يمكن التركيب بينها، للحصول على ما يُمكنه من تفسير البنية التي عليها لغة الطفل (والراشد المصاب) وكيفية اشتغال عناصرها، ومن ثم ترميم هذا البناء و تصحيح هذا الاشتغال إن أمكن.

إذا كانت اللغة التي يتعلمها الطفل قبل إقباله على الاكتسابات الأكاديمية، لغة ممارسة يومية متباينة المظاهر و غير معيّنة *peu normée*، كانت مهمة الأرطوفوني مهمة مزدوجة. هي من جهة، مهمة الوقوف على أكثر من أداة واحدة لتحليل لغة الطفل، وهي من جهة ثانية، مهمة الوقوف على معرفة كافية للممارسة اللغوية الفعلية في محيط الطفل. بواسطة هذه المهمة المزدوجة، قد يتمكن الأرطوفوني من مرافقة الطفل (والمصاب) في ترميم بناء أداة تفكيره و تواصله، في سبيل اندماجه الاجتماعي واكتساباته المعرفية.

تتطرق هذه المحاضرة لاكتساب البناء و السير اللغوي للوحدات الكبرى، الجملة والخطاب، وفي ذلك، تحاول المحاضرة فهم هذا الاكتساب استنادا لأكثر من نموذج، ولدراسات نمائية تنتمي لأكثر من سياق لغوي (أكثر من لغة).

#### IV. مرحلة الجملة (3 - 5 سنوات) :

تبدأ هذه المرحلة في حوالي السنة الثالثة. الجملة في هذه المرحلة تعني : ملفوظ énoncé مكون من أكثر من كلمتين، و يحتوي على **تركيب اسمي** syntagme nominal، و **تركيب فعلي** syntagme verbal. نموذج تحليل الجملة في هذا الدرس مأخوذ من اللغة الفرنسية حيث أخذنا دراساتها النمائية études développementales التي لا يمكن بأي حال القفز عليها في دراسة الأرتوفونيا.

اللغة الفرنسية لا تطلق اسم **الجملة** إلا على الوحدة اللغوية التي تحتوي على فعل verbe، ويسمى الفعل في اللغة الفرنسية قلب الجملة le cœur de la phrase، لأنه مركز كل المعنى المساق، أي مركز الحدث : وهو أنه في اللغة الفرنسية، معرفة ما الذي وقع، أكثر محورية (أهمية) من معرفة من الذي قام بالحدث ؟ أو كيف وقع الحدث؟ أو كيف كان الذي قام بالحدث ؟ أو غير ذلك من المعلومات التي قد تسوقها الجملة.

تنقسم الجملة في الفرنسية إلى قسمين متكاملين لا يتم معنى الجملة إلا بتكاملهما، هما **التركيب الإسمي** syntagme nominal، و يحتوي على الفاعل و كل الوحدات التي تُتَمِّمُه و تُعَرِّفُه، من أدوات تعريف و صفات (نعوت) و غيرها، و **التركيب الفعلي** syntagme verbal، و كل الوحدات التي تُتَمِّمُه وهي المفاعيل والأحوال (جمع حال) و غيرها، كل ذلك حسب طول و تركيب (تعقيد) الجملة. طبعاً، لكل هذه الوحدات المذكورة في الجملة تسمياتها الخاصة في اللغة الفرنسية، ليس هنا مجال التوسع فيها.

يمكن للطالب أن يقارن تحليل الجملة المقدم في هذا الدرس بما يعرفه عن الجملة في الدارجات الجزائرية حيث يكتسب الطفل لغته الأولى في وسطه الأول من الميلاد إلى سن ما قبل التمدرس، للحصول على مؤشرات تقريبية عن نمو اللغة في هذه السن.

#### التركيب الاسمي في الفرنسية يتكون من:

◀ **الأسماء noms** : وتكون فواعلا و صفات و مفاعيل و غيرها، وسبق ذكر اكتسابها،

◀ **أدوات التعريف غير المعرفة (un/une) articles indéfinis** : تكتسب بين 30 و 36 شهرا

◀ **أدوات التعريف المعرفة (le/la) articles définis** : تكتسب بين 36 و 42 شهرا

◀ **أدوات تعريف الجمع des/les** : تظهر بين 42 شهرا و 54 شهرا، بحيث يسمح ظهورها بظهور الربط بين الأداة و الاسم الذي تقدمه من حيث العدد.

**ملاحظة :** في حين تحتوي الفرنسية على أدوات تعريف (المعرفة) le/la/les و أدوات تنكير (النكرة) un/une/des، اللغة العربية تُعرّف بالألف واللام و تُنكّر بحذف أداة التعريف (الألف واللام) و بإضافة علامة إعرابية في آخر الكلمة هي التنوين.

◀ اكتساب قواعد الربط عددا و جنسا règles d'accord بين أدوات التعريف و أسمائها: يبدأ هذا الاكتساب مع بداية اكتساب أدوات التعريف، أي بين 30 و 42 شهرا، و يستمر اكتساب قواعد الربط إلى سن السادسة و ما بعدها. أي أن الطفل لن يتحكم في استعمال un/une/des و le/la/les و ربطها ربطا صحيحا بالأسماء التي تدل عليها، حتى تكتمل لديه مجموعة من المكتسبات، سيضل دونها يقوم بأخطاء في كلامه ويضل محتارا في : ما الذي ينطبق مع ماذا ؟

هذه المكتسبات التي تستمر بعد سن السادسة هي :

✓ استمرار الإثراء المعجمي (المفرداتي): مع كل مفردة جديدة يتعلمها الطفل، أن تستقر لديه لما يدرجها ضمن صنف من أصناف الكلمات catégories de mots التي كوّنها سابقا و ساعدته على الاكتساب (أشخاص، حيوانات، أدوات مدرسية، أواني منزلية، فواكه، خضر، وسائل نقل الخ). إذ، يصنف الطفل مفرداته حسب أشكالها، أحجامها، وظائفها، مجالات تواجدها في الطبيعة أو في البيت، واستعمالها. وكل كلمة جديدة ستُصنف ضمن إحدى المجموعات المكونة أو تفتح صنفا جديدا من الكلمات. من بين المجموعات المكونة، تستقر الكلمة الجديدة ضمن **جنس المذكر أو المؤنث** الذي يستمر في التشكل و الاتضاح لدى الطفل على طول مراحل الاكتساب.

✓ استمرار تشكّل واستقرار مفهوم الجنس (مذكر/مؤنث) لدى الطفل: إذا كان الرجل مذكر و المرأة مؤنث، فكيف يكون البيت و الحائط و النافذة ؟ وماذا عن السماء ؟ والفأاز ؟ ماذا عن الأمس ؟ والبارحة ؟ و ما معنى الغزالة حيوان لطيف، و الأفعى حية تسعى ؟ والمرأة إنسان هادئ، و الرجل شخصية فذة ؟ طبعا نحن نعلم أن اللغة اصطلاحية تواضعية لا علاقة طبيعية أو منطقية فيها بين الدال والمدلول، لكن كل ذلك يجب أن يدخل إلى عقل الطفل (فضائه الرمزي)، يتعلمه، و يتبناه، وذلك يكون بوقت و بجهد، وبتسخير كثير من الطاقات المعرفية.

✓ اكتساب الأشكال الصرفية للتعبير عن الجنس:

(طفل/طفلة، لكن ولد/بنت وليس ولدة. كلب/كلبة، لكن أسد/لبؤة، حمار/أتان، تيس/عنزة)  
(Conducteur/conductrice, sorcier/sorcière, boulanger/boulangère, chien/chienne)  
(rouge/rouge, jaune/jaune, vert/verte, blanc/blanche, gros/grosse, épais/épaisse )

✓ اكتساب الأشكال الصرفية للتعبير عن العدد: ( , animal/animaux, monsieur/messieurs, œil/yeux, )

(تلميذ/تلاميذ، طفل/أطفال وليس أطافيل، رجل/رجال وليس رجاجيل، رياضي/رياضيون وليس رياض ولا رياضيين، قاضي/قضاة وليس قاضيون، مسكين/مساكين وليس مساكن، وهكذا)

**ملاحظة :** تجدر الإشارة أنه بين 54 و 72 شهرا (4,5 و 6 سنوات)، يستمر الطفل في استعمال صيغ التكثير indéfini محل التعريف défini أي يستعمل أدوات التعريف غير المعرفة un/une/des محل أدوات التعريف

المعرفة le/la/les و بذلك يكون طفل السادسة لا يزال على مسافة من لغة الراشد رغم اكتسابه أدوات التعريف ، جنسا و عددا.

#### ﴿ اكتساب ضمائر الشخص pronoms personnels أنا أنت، je tu :

الضمير "أنا" يظهر بين 24 و 30 شهرا شكل moi عوض je،  
ثم بين 30 و 36 شهرا يتحول إلى "moi je..."، ثم يختفي moi تاركا المكان لـ je.  
في نفس هذه السن، بين 30 و 36 شهرا، يظهر الضمير "أنت" في شكل toi و tu.  
بين 36 و 48 شهرا، يظهر ضمير المفرد الغائب المذكر "il" و يستعمل في شكل "i" : **i parle, i marche**  
عوض أن يقول **il parle, il marche**  
بينما يتأخر ظهور ضمير المفرد الغائب المؤنث "elle"، حيث يستعمل الطفل صيغة "i" محله و محل  
ضمير المذكر "il"، فيقول: **i parle و i marche** للولد وللبنت معا.  
الضمير "elle"، يظهر بأشهر عديدة بعد هذه الفترة.

﴿ في نفس هذه السن 36 إلى 48 شهرا، تظهر ضمائر الشخص المفاعيل pronoms personnels objets أي  
الضمير المفعول به المباشر COD و الضمير المفعول به غير المباشر COI و هي : « la », « le »  
« vous », « nous », « te », « me »، في الأمثلة التالية :

#### Pronoms COD

Je **le/la/me/te/nous/vous** regarde (regarde qui ?)  
Je **me** coiffe/ Je **me** douche (qui ?)  
Je **te/ nous** suis / Je **te/ nous** félicite (qui ?)

#### Pronoms COI

Je **me/te/nous/vous** réserve une place (réserve à qui ?)  
Je **me/te/nous/vous** raconte une histoire  
Il **me/te/nous/vous** donne le droit (quoi ?, à qui ?)

﴿ يلاحظ أن اختبار PEES يؤخر ظهور ضمير الشخص المفعول به « la » لغاية 84 شهرا (7 سنوات) و  
ضمير الشخص المفعول به « le » لغاية 96 شهرا (8 سنوات).

﴿ كما يبدأ الضمير غير الشخصي أو غير المحدد « on » في الظهور  
pronom impersonnel ou indéfini « on »

﴿ ضمائر الملكية : pronoms possessifs : mon/ma, ton/ta/ son/sa وهذه تكتسب متأخرة مقارنة بضمائر  
الشخص أنا أنت

﴿ حروف الجر préposition : à, chez, dans, de, entre, jusque, hors, par, pour, sans et vers  
الظروف (جمع ظرف) و الأحوال (جمع حال) : adverbes : Sagement, doucement, bien, très, tard, loin, Beaucoup

التركيب الفعلي في الفرنسية يتكون من :

◀ زمن الأفعال : حيث الطفل يستعمل بصفة مبكرة بعض أشكال الحاضر و الماضي التالية :

- ✓ الفعل المجرد l'infinitif : وهو الفعل غير المُعرب مثلما هي صيغة المُجَرَّد في اللغة العربية. نقول : manger أكلَ، écrire كَتَبَ، marcher مشى، dormir نام. و يستعمل للدلالة عن اسم الفعل : "الفعل كَتَبَ"، وكذلك للدلالة على زمن الفعل في: كَتَبَ رسالةً. صيغة المجرد هذه في الفعل الفرنسي هي من بين أول ما يظهر من الأفعال في كلام الطفل و يستعملها محل الحاضر: moi manger, pas manger
- ✓ زمن الحاضر le présent de l'indicatif: وهو شكل من أشكال الحاضر الأكثر استعمالا في الفرنسية لكونه يُعبّر عن حركة الفعل الآتية المباشرة : il boit, i mange, je dors.
- ✓ فعل الأمر l'impératif : وهو فعل يرتبط بمختلف الطلبات وهو كثير الاستعمال في التخاطب، ويعتبر، مع الحاضر، الفعل الأسبق اكتسابا لدى الطفل. أعطني donne moi، أرني montre moi
- ✓ زمن الماضي القريب le passé composé : ويعبر عن حركة انتهت للتو، أو منذ زمن قريب كما في الأمثلة التالية : أكلتُ j'ai mangé، وصلتُ je suis arrivé.

◀ يأتي استعمال زمن المستقبل في حوالي 4 سنوات من عمر الطفل، و يستعمله الطفل بالتدرّج في شكلين :

- ✓ بداية، يستعمل المستقبل القريب future proche : سأكل je vais manger، سأت je vais venir، سأجلس je vais m'asseoir، ستأتي tu vas venir، وهذه الصيغة سهلة على الطفل، لأنها فقط تكرر للفعل vais/vas، مع صيغة المجرد سابقة الذكر venir, manger، التي اكتسبها الطفل باكرا.
- ملاحظة : تجدر الإشارة إلى أن المستقبل القريب هذا future proche، مستعمل فقط في التخاطب في الفرنسية العامية (الدارجة) وقليل ما يستعمل في الفرنسية الفصحى، لغة الدراسة والكتابة والأدب، حيث يستعمل المستقبل الحقيقي future de l'indicatif. والطفل يستعمل المستقبل القريب قبل أن ينتبه للصيغة الحقيقية لفعل المستقبل كما سيأتي :

- ✓ المستقبل le future de l'indicatif : أذهبُ je partirai, tu partiras، j'irai, tu iras، أنامُ je dormirai, tu dormiras، آت je viendrai, tu viendras، أكل je mangerai, tu mangeras

ملاحظة : يختلف نظام الأفعال بين اللغة العربية والفرنسية، فالعربية لها زمانان تصريفيان فقط، إضافة لفعل الأمر الذي يُعبّر عنه في العربية بالزمن بينما هو في الفرنسية نمط فعل mode de verbe وليس زمن فعل temps de verbe.

الزمانان في العربية هما الماضي و المضارع. و المضارع يضم كلاً من الحاضر و المستقبل دون تمييز صرفي (مورفولوجي، شكلي) بينهما، إذ يُستنتج الزمن إن كان حاضرا أو مستقبلا من سياق الكلام. بينما الفرنسية لها نظام أفعال مُعقّد، تمتزج فيه أنماط الأفعال mode de verbe و أزمنة الأفعال temps de verbe في جدول

مُرَكَّب ليس هذا مجال تفصيله. لكن الدراسات النمائية على لغة الطفل، تتعرَّض لاكتساب كل أنماط الأفعال و كل أزمنتها، كما تفسّر دراسة الإضطراب اضطرابها بالتفصيل، تربط ذلك بنوعية اشتغال الوظائف المعرفية لمُكتسِب اللغة و اختلال هذه الوظائف.

◀ الماضي البعيد المستمر imparfait والفعل المشروط conditionnel : يُكتسبان بين 5 و 6 سنوات

◀ اكتساب أنماط الأفعال modes des verbes : حيث يستعمل الأمر impératif مبكرا، ثم يليه الفعل المشروط conditionnel بين 5 و 6 سنوات.

اكتساب تركيب الجُمْل Syntaxe : فيما يخص بناء الجملة

✓ يبدأ الطفل أولا بإنتاج جمل بسيطة phrases simple بوحداث متجاورة juxtaposées أي بدون أي روابط بينها، moi dessiner maison، papa pati، chien mangé،

✓ ينتقل بعدها إلى تنسيق وحدات جُمْلته البسيطة باستعمال حرف العطف et (يقابله الواو أو الفاء في العربية)، في عبارة manger et laver et dormir، ثم ينسق كلماته باستعمال الأداة après (يقابلها الظرف بَعْدَ) في متتاليات مثل manger après dormir après jouer،

✓ لاحقا يتمكن الطفل من إنتاج جُمْل مركبة phrases complexes باستعمال ما يسمى الجمل الرئيسية propositions principales والجمل التابعة propositions subordination، باستعمال الوصل و الموصول les relatives : أحببت الكتاب الذي اشتريته لي J'ai aimé le livre que tu m'as acheté لقد نسيْتُ الكتاب الذي كَلَمْتَنِي عنه Tu as oublié le livre dont tu m'as parlé

كما يستعمل المكملات أو الجُمْل المكملة phrases complétives المعبرة عن الزمن circonstancielle de temps، عن المكان circonstancielle de lieu وعن الكيفية circonstancielle de manière، بهذا يكون الطفل تقريبا قد استكمل اكتساب الوحدات اللغوية الصغرى والكبرى الضرورية لتمام القدرة الفهم و التعبير، مما يسمح له بالتواصل و التعلّم الأكاديمي : الدراسة، ويكون ذلك حوالي سن السادسة، لكن مسار الاكتساب يستمر بعد كل هذه المراحل.

## V. ما بعد الجملة، الخطاب

يعتبر نشاط الحكي narration أو إنتاج القصة récit نشاط مهم ومحبوب للأطفال منذ سن مبكرة.

◀ بداية، يقرأ الراشدون قصصا لأطفالهم (هذا التفصيل يخص المجتمعات ذات الثقافة المكتوبة، ولا يخص كثيرا المجتمعات ذات الثقافات الشفوية، حيث القصص تُروى ولا تُقرأ ولا يحتك الأطفال باكرا بالسندات المكتوبة مثلما يحدث في المجتمعات التي يحتل فيها المكتوب مكانة أساسية). لمّا يقرأ الراشد قصة للطفل، غالبا ما يكون حكي القصة مشتركا بين الراشد والطفل، حيث يقوم الراشد بسؤال الطفل حول القصة التي

يسمعا و يقوم الطفل بتخيل إجابات و إتمام القصص بالكيفيات التي يختارها، يرغب فيها وبتخيلها، مما يدخله مبكرا في عوالم الحكى و التصور.

◀ قبل سن الرابعة، يجد الطفل صعوبة في الحكى. فتجده مثلا يلغى عناصر مهمة من القصة التي يرويها ولا يحترم تنالى و تسلسل أحداثها la trame de l'histoire.

◀ بين سن 4 و 7 سنوات، يبدأ في التحكم في بعض أدوات انسجام الخطاب marques de cohérence كـ بعض الروابط connecteurs، مثل et، alors، donc.

◀ ابتداء من سن 7 و 8 سنوات، تصبح قدرات الحكى لدى الطفل أكثر تطورا، حيث :  
✓ يتمكن من تكوين مخططات حكى schémas narratifs أكثر تعقيدا : بداية، أحداث، أشخاص، أماكن، زمان أو أزمنة، عقدة، حل العقدة، نهاية.

✓ تزداد لديه القدرة على اختيار المعلومات الأكثر أهمية بالنسبة لمستمعه أثناء الحكى، مثلا أثناء الاتصال المرجعي communication référentielle (شرح طريقة عمل، طرح ألغاز، إعطاء تعليمات الخ)، تنمو هذه بصفة معتبرة ابتداء من سن 7 سنوات.

◀ اكتساب الخطاب الحجاجي : البرهنة argumentation :

✓ في سن 3 سنوات ينتبه الطفل الى قدرته على تهديد مخاطبه من بغية حلّ خلاف معه،  
✓ في سن 4 سنوات يتمكن من إنتاج محاجة (أعذار و حجج شفوية) بغية دعم موقفه، لكن دون أن يتمكن من أخذ موقف مخاطبه بعين الاعتبار، حيث يكون الطفل متمركزا حول رغباته و مواقفه فقط، دون الانتباه إلى المواقف المغايرة لدى الغير.

◀ يستمر نمو القدرات الخطابية حتى سن المراهقة، يتعلم الطفل و المراهق خلال هذا النمو اعتبار حججه و حجج غيره في نفس الوقت.